

البعد الجمالي لمفهوم إرادة القوة والإنسان الأعلى في فلسفة نيتشه

The aesthetic dimension of the concept of the will to power and the supreme man in Nietzsche's philosophy

بن دوخة هشام¹ ، حميد حمادي²

جامعة تلمسان/ الجزائر (hichembendoukha@yahoo.fr)

جامعة وهران 2 /مُحَمَّد بن احمد/الجزائر (hamadi_phil@yahoo.fr)

تاريخ الاستلام : 2020/07/28 ، تاريخ القبول : 2020/10/04 ، تاريخ النشر : 2020/11/20

Abstract

الملخص

The purpose, by standing on the ideas of the will to power and the supreme man, is a reading contrary to those ideological readings that carried Nietzsche unless we find it in his texts! And accordingly, the aesthetic reading of the two concepts dimension is the reading closest to the original reading. Hence we argued that these two concepts are two aesthetic concepts that Nietzsche created in order to expose nihilism and liberate man from the will of nothingness, and push him to justify the world as an aesthetic justification that does not justify nihilism.

Key words: Nietzsche, the aesthetic dimension, the human being, the power.

إنّ الغرض من خلال وقوفنا على فكريّ إرادة القوة والإنسان الأعلى، هو قراءة مخالفة لتلك القراءات الإيديولوجية التي حملت نيتشه ما لم نجده في نصوصه!. وعليه كانت القراءة الجمالية لبعد هذين المفهومين هي القراءة الأقرب إلى القراءة الأصيلة. من هنا دافعنا على أن هذين المفهومين مفهومين جماليين تحتها "نيتشه" بغية تعرية العدمية وتحرير الإنسان من إرادة العدم، و دفعه إلى تبرير العالم تبريرا جماليا لا تبريرا عدما

كلمات مفتاحية: نيتشه، البعد الجمالي، الإنسان، القوة.

1. مقدمة:

لم يكن نقد " نيتشه " لثقافة عصره-الرومانسية- نقدا عقيما وإنما كان نقده نقدا بنّاءا، بمعنى أنّه أتى ببديل، من هنا كان الغرض من هذه الدراسة هو الوقوف على ملامح البديل الرومنسي الذي تصوره " نيتشه "، وهو البديل الجمالي وتقويماته البديلة عن التشاؤم الرومانسي. ولذلك تسعى هذه الدراسة من خلال الوقوف على مفهوم إرادة القوة وكذلك مفهوم الإنسان الأعلى في فكر " نيتشه "، لتفسير عكس بعض التأويلات الغير المتأنية و القراءات المتسرعة سيما الايديولوجية منها لنؤكد أنّ هذين المفهومين: مفهومين جماليين، إرادة القوة لا محالة تسلك مسلك إرادة الفنان، بما هي إرادة مبدعة تتفنّن بالقوة لتجميل الأشياء وترتيبها. والإنسان الأعلى، إنسان جمالي، مقبل على المغامرة فقط من أجل طلب التنازع الجمالي الحاث على الحياة، فمثله في ذلك إذن مثل إرادة القوة سعي لسلك درب الفنان الذي يؤمن بالإستيطيقا (L'esthétique) وسيلة لإيجاد المتعة في الحياة.

2- إرادة القوة (Wille Zur Macht):

1.2- إرادة القوة ضد إرادة الحياة:

يقول " نيتشه على لسان " زراداشت في إحدى الشذرات: >> لقد أفصحت إلى الحياة بسرّها قائلة : إنه محكوم علي دائما أن أتفوق على ذاتي. والحقيقة أنكم تسمون هذا إرادة تناسل ودافعا إلى غاية، إلى شيء أعلى، وأبعد، وأكثر تنوعا. ولكن كل هذا شيء واحد وسر واحد، وإنّي أفضل الفناء على إنكار هذه الوحدة. والحق أنكم حيث تشاهدون ذبول أوراق النباتات وتساقطها، هنالك تشاهدون تضحية الحياة بنفسها من أجل القوة. ذلك أنني محتوم علي أن أكون نضالا وصيرورة وغاية ومعارضة للغايات. ويا أسفاه فإن كل من يتكهن. ما هي إرادتي، يجب أن يتكهن

أيضا على أي طرق ملتوية ينبغي أن تسير هذه الإرادة . وأيا كان الشيء الذي أخلقه، ومهما يكن حبي له كبيرا، فسرعان ما سأقلب ضد حبي له، هكذا تبغني إرادتي > (1).

في الشذرة دلالة على اكتشاف " زرادشت" أن إرادة القوة (**La volonté de puissance**) ليست مجرد خاصية من خصائص الحياة فحسب، بل هي ماهية الحياة وجوهرها. فالحياة هي إرادة القوة التي تتفوق على نفسها باستمرار وبهذا يعلن " نيتشه" على لسان " زرادشت" إيمانه المطلق " بإرادة القوة " ولكن السؤال الذي يطرح هو ما هي المسوغات التي سوغت لظهور فكرة " إرادة القوة بالنسبة إلى " نيتشه"؟، ثم ما هي القراءة الأقرب إلى الفهم الأصيل لمفهوم إرادة القوة؟

إذا كان " شوبنهاور" قد عجز عن تخطي حدود إرادة الحياة أو حدود التشاؤم الذي انتهت إليه هذه الإدارة، فإن " نيتشه" يأخذ بهذه الإرادة وبهذا التشاؤم الشوبنهاوري " بعيدا ليتحول عنه، ثم ليحوّله من السلب إلى الإيجاب. فإرادة القوة تقع في طرفي نقبض مع إرادة الحياة التي ترهن خلاص الإنسان من المعاناة والشقاء والألم بخلاصه من إرادة الحياة نفسها طالما أنها في نظر " شوبنهاور" شر ملاحق للإنسان دائما أبدا ما لم يطلق إرادة الحياة، بتطبيق الرغبة واجتثاث جذور غريزة الحياة (**L'instinct de vivre**).

إنّ عدمية إرادة الحياة التي نجح " شوبنهاور" في ترويجها تعدّ في نظرنا أولى بوادر التسويغ النيتشوي لإرادة القوة التي تبدو من وجهة نظرنا كرد فعل على إرادة الحياة في صورتها النافية والمتشائمة التي رسمها لها " شوبنهاور ". ذلك أنّ " إرادة القوة تفصح عن عداء صريح ضد إرادة الحياة بما هي دعوى إلى الخيار بين احتمالين اثنين، أولهما: قطع الإنسان لصلة الارتباط مع أي مغربي من إغراءات الحياة.

وثانيهما: العزوف عن الحياة باعتباره السبيل الوحيد للتخلص من ألم الحياة وشقائها. على أنّ هذين الاحتمالين تسويغ لمفهوم واحد، ألا وهو: الانتحار خير من أن يكابد الإنسان شقاء الحياة وألمها. وهكذا إذا كان " شوبنهاور" قد ظلّ أسيرا في سجن التشاؤم، شاجبا بوجهه عن الحياة معرضا عنها ومعرضا على الخلاص منها بهجرها وتطليقها ، فإنّ " نيتشه" يبقى دائما وفيها لحبّ الحياة، مخلصا لها (2). وهذا الحبّ بالذات -حب الحياة- هو الذي وجّه " نيتشه" بالاتجاه المضاد، بمعنى

من إرادة الحياة إلى إرادة القوة. فما إن أخضع " نيتشه " إرادة التشاؤم " الشوبنهاوري " إلى المبدأ الجينيولوجي حتى انفتحت عيناه على النقيض الايجابي، المتمثل في إرادة القوة، بما هي إرادة الإقبال على الحياة وقبول لها واستقواء فيها.

من هنا كان رد إرادة القوة على إرادة الحياة، كون أنّ هذه الأخيرة إرادة نفي للحياة قامت أساسا من أجل تكريس مثل عليا : (الخلاص، التشاؤم، الشفقة...) وغايتها في ذلك واحدة وهي أن الحياة أكلوبة. وبالتالي كانت إرادة الحياة بالدرجة الأولى إرادة تنبيه الإنسان إلى عبثية الحياة (**L'absurdité de la vie**)، وإرادة الانسحاب من الحياة وقتلها بالزهد أو بالمثال الزهدي (**L'idéal ascétique**) بوصفه الخلاص النهائي من عبثية الحياة.

إن ثقافة الإرادة فيما يرى " نيتشه " لا تعترف بفصل الإرادة عن الحياة، بل إن واحدا منهما لا يقوم بالغاء الآخر، في حين أن الإرادة الشوبنهاورية تعترف بالإرادة كموجه للحياة، ثم تضل عن طريقها المستقيم حينما ترهن خلاص الإرادة برفعها عن عالم الحياة، ذلك أنّ الإرادة بما هي مستقلة عن الحياة، وبما هي مخطئة للحياة قبلها كما هو حالها مع " شوبنهاور " تكشف في نظر " نيتشه " الحقيقة ضد باطل الأباطيل: ذم الحياة وتحقيرها وتبخيسها.

إن إرادة القوة في نظرنا مشروع قام من أجل تصويب الخطأ، من أجل أن يلغي انقياد الحياة بالخطأ، ومن أجل أن يحيي الثقافة التراجيدية من جديد، بما هي حكمة " ديونيزوسية "، وإرادة حياة لا بالمعنى " الشوبنهاوري " وإنما بالمعنى الديونيزوسي الذي يبارك كل ما في الحياة ويجعله عيدا وبهجة. فلا مكانة لقول الخبيثة والتشاؤم والزهد في الحياة، وإنما ثمة قول للإقبال على الحياة فقط بملء ما فيها: شقائها ونعيمها، فرحها وقرحها، أو ليست الثقافة التراجيدية، وحصرا الثقافة الديونيزوسية ممارسة للذة في الألم!؟

وهكذا انبثقت إرادة القوة من ذلك التعارض بين الرفض والقبول: رفض الحياة مع إرادة الحياة، وقبول الحياة مع إرادة القوة وحول ذلك التعارض بين الرفض والقبول تجلت القوة كماهية

أصيلة للإرادة وللحياة على حد سواء أمام " نيتشه "، فوحدها القوة في نظر " نيتشه " تأكيد ايجابي على الحياة : << وبقدر ما تكون الحياة قوية، بقدر ما يكون العالم الموجود أكثر خصوبة >>³ .

2.2- إرادة الإقتدار بوصفها جمالا:

يقول " لوك فيري " **Luc Ferry** وهو واحد من نخبة الفلاسفة المعاصرين الفرنسيين المهتمين بفلسفة " نيتشه "، في كتابه "الإنسان الجمالي " (**Homo Aestheticus**): "بالنسبة لـ نيتشه، يتمظهر الفن بوصفه استعراضا لما هو حقيقي من خلال ارادة القوة"⁴. يخضع الفن في نظر " نيتشه " كما يؤكّد على ذلك " لوك فيري" إلى إرادة الإقتدار التي تكمن في صلب الفنان من حيث هي نازع فنيّ. فثمة إذن نازع إرادة الإقتدار وهو نفسه النّازع الجمالي الذي يدفع الفنان إلى تصوير الطبيعة تصويرا جماليا، ولئن تأملنا هذا النّازع الجمالي الذي يدفع الفنان إلى تصوير الطبيعة تصويرا جماليا لأمكننا أن نقول فيه: إنّه نازع إرادة الإقتدار نفسه.

إنّه لمن القوة بمكان بحيث يتحكّم الفن في كلّ أنشطة الحواس والدّهن. وهو دافع تقف وراءه إرادة الإقتدار التي يقوم الإنسان الفنّان بفضلها بقلب أنسجة وخلايا المفاهيم، معوضا إياها باستعارات جديدة ومجازات، حاملا نفسه بإستمرار على أن يعطي العالم الذي يتبدى أمام أعين الإنسان المتأمل صبغة شديدة الإختلاف، دائمة التجديد، مليئة سحرا، شبيهة بالحلم. فمن شأننا أن نحيا تحت سحر الفن وإبداع الفنان في وهم دائم، أي في عالم من الإستعارات والكنيات (**Les métaphores**) لا في عالم من الوقائع. وإنّ لفي ذلك إختلاف جوهرى بين الفيلسوف وبين الفنان كما يؤكّد على ذلك " ماتيو كسلر " **Mathieu Kessler** في قوله: << ينبغي على الفيلسوف وصف العالم في حقيقته، بينما يتحتم على الفنان إبداع واقع لا يمت بصلة مع الواقع. الفنان مجبر على تصور العالم بخلاف ما هو عليه، أما الفيلسوف، فمجبر التفكير داخل انساق عقله. وحده الفنان قادر أن يطلق العنان لجنونه كي يحرّر خياله. >>⁽⁵⁾.

إنّ الفنان لهو من يقفز على الواقع ويعتقد أن الشيء الجميل لا يصير جميلا إلا بخروجه عن المفاهيم المجردة التي تهيم على العقل وأنه بقدر ما يكون الشيء قويا بقدر ما يصبح أكثر

جمالا، فإرادة الجمال كما جاء على لسان " ياسبرز " : << تعني التطور اللامحدود للأشكال: وحدها الأجل ووحدها الأقوى >> (6).

إنّ الغريزة التي يتقوم بها الإنسان في نظر " نيتشه " ما كانت يوما غريزة العقل أو غريزة ذهن يطمح إلى المعرفة : << فالذهن نفسه نتاج لجهاز كان في البدء جماليا >> (7)، إنّما الغريزة التي تسري في عروق الإنسان هي غريزة الجمال، فالعين مشدودة إلى الشكل الجميل، والأذن متعلقة بالإيقاع الجميل، وفي ذلك كله إبداع قوة فنية جمالية، ومن ثمة فإنّ الجمال هو نشوة فنان قويّ، ولئن شئنا أن نعرف طبيعة الجمال فلننظر إلى مدى قوّته.

إنّ معيار الجمال بالنسبة " نيتشه " هو " إرادة القوة " ذلك أنّ الجمال دلالة على الإرادة، والإرادة في فلسفة " نيتشه " رهن القوة. وما هنا خطأ آخر من " شوبنهاور " حينما ذهب إلى إعتبار أنّ أحد مزايا الجمال : << إماتة للإرادة وتحرّر منها >> (8)، بيد أنّ حقيقة الجمال فيما يرى " نيتشه " هي أنّها دلالة على سلامة الإرادة وعافيتها، ف وراء كلّ حكم جمالي إحساس بالقوة، والقوة وحدها تحدد استعمال نعت " الجميل ".

إنّ الإنسان الجمالي، لهو إنسان إرادة القوة بامتياز، ذلك أن في إبداعه للجميل إستقواء وإستقدار يحول معاناة الإنسان إلى فيض حياة و وفرة قوّة.

إنّ إرادة الإقتدار في نظرنا هي نفسها إرادة الجمال (**La volonté du Beau**) بالمعنى الذي يسمّيه " نيتشه " جمالا ديونيزوسيا (**Beauté Dionysiaque**)، شأنه أن يعكس الرؤية التراجيدية للحياة التي تتم عن قوّة فنية هائلة، أي إرادة الإقتدار التي تثير المتعة والنشوة في الجمال. إنّ القول عن شيء ما أنه " جميل " معناه التأكيد على قوته، فوحده الجمال دلالة على القوة، مثلما القبح دلالة على الوهن.

3- الإنسان الأعلى: Umbermensech**1.3- الإنسان الأعلى والحياة:**

يعلم " زرادشت " عن فحوى بشارته للإنسانية قائلا: << جئت أرفأ إليكم بشاره الإنسان الأعلى...>>⁽⁹⁾، والممغن النظر في خلاصة الرسالة التي أدلى بها " زرادشت " ليجد أن غايته الوحيدة تنصب على تتقيف الإنسان الأعلى (Le surhomme) جنبا إلى جنب مع ثقافة إرادة القوة والعود الأبدي (L'éternel retour)*. وإذا كان مفهوم الإنسان الأعلى مفهوما أساسيا في فلسفة " نيتشه " عامة وفي مؤلفه " هكذا تكلم زرادشت " خاصة، فإن السؤال الذي يطرح: ما هي سمات الإنسان الأعلى في فلسفة " نيتشه "، وما هو البعد الذي يتخفي وراءه هذا المفهوم؟.

يؤكد " زرادشت " فور إعلانه عن نبأ الإنسان الأعلى، أن هذا الأخير ينتمي إلى الأرض لا إلى عالم آخر مفارق، بل إنه يمثل في حقيقته معنى هذه الأرض: <<الإنسان الأعلى هو معنى الأرض، فلتجعلوا إرادتكم تقول: ينبغي أن يكون الإنسان الأعلى معنى الأرض>> (Nietzsche (F), 1993, p291)⁽¹⁰⁾، وبذلك يربط " نيتشه " برباط وثيق بين مفهوم " الإنسان الأعلى وبين الحياة، فالإنسان الأعلى يبارك الحياة ولا يلعنها، يثني عليها ولا يحقرها.

إن الإنسان الأعلى هو ذلك المندفع شوقا صوب الحياة، غايته في ذلك هي إضفاء الجمال على صورة الحياة ولذلك نراه قد نصب نفسه عدوا ضد محقري الحياة (Les contempteurs de la vie): فهو رافع شعار " موت الإله " (Dieu est mort)، وهو محارب الوصايا القديمة مناديا بضرورة قلب القيم (Renversement des valeurs)، وهمة الوحيد وراء ذلك إنما هو رد الاعتبار للمنسي، للحياة باعتبارها بؤرة الوجود الأبدية وحلقة متكررة لا تعرف النهاية.

<< إن الإنسان الأعلى هو ذلك الإنسان الأقرب إلى الحياة >>⁽¹¹⁾، فليس ثمة سوى الحياة يلهث في طلبها: حياة تستبدل بحياة إلى الأبد، موت يتلوه موت وميلاد يعقبه ميلاد، حياة في موت وموت في حياة، تلك هي حياة الإنسان الأعلى الأبدية التي ما فتئ الإنسان الأعلى يتلذذ بحبها، تلذذ عاشق منتشي يردد تحت تأثير الهذيان: إنما نحن نؤمن بالحياة الأبدية!.

إنّ الإنسان الأعلى هو إنسان ما بعد المسيحية، بل إنّ ظهوره ما قام إلاّ بغية الإعلان عن موت الإله المسيحي الذي سلب براءة الحياة بإدانتها بتهمة الخطيئة. لقد بلغ الإنسان الأعلى من الوعي ما مكّنه من كشف خدعة الإله المسيحي، فما " الذنب " وما " الخطيئة " إلاّ ضرب من ضروب الافتراء والكذب، أبدعتهما الكنيسة إنتقاما من الحياة، إن هي إلاّ ضلالات ابتدعتها " القس " بغية الترهيب من الحياة، بل إنّ القس نفسه ليدرك أنّ أقاويل من هذا القبيل ما هي إلاّ الكذب بعينه (12).

ما بقي للإنسان الأعلى مزيد من الصبر حتى يكتم غيظه من هذه الأمور، بل كيف يمكن لقدوة الحياة بأن يطبق عدو الحياة!؟

إنّ أقول الإنسان المسيحي صار أمرا لا بد منه، بل إن الإنسان الأعلى ليتربّب موت هذا الإنسان وموت إلهه على السواء بلهف وشوق حتى يصلح العطب ويداوي الداء ويحارب الكذب ويحطم الأصنام أملا في شفاء الحياة من لذغة أعدائها.

إنّ ما عبد تحت إسم الإله المسيحي ما كان إلهها بالمعنى الحق: >> وإنما إلهها على مقياس "بولس" <<(13)، قاسه بمقياس الشفقة والخطيئة والذنب، وبالجملة إنّه الجريمة ضدّ الحياة، ولا غرابة إذن في موت هذا الإله: >> وذلك لا يعني موت الأمر الإلهي أو موت الشأن المقدّس [...] إنّما الإله الذي وصفه نيتشه بالموت هو إله بولس، إله الضعفاء والنّاقمين والحاقدين على الحياة والأقوياء <<(14).

إنّ موت الإله الذي نادى بضرورته " نيتشه " ليمثل في نظرنا دعوة القضاء على أثر كانت عواقبه وخيمة، ونعني بها العدمية التي كانت المسيحية في نظر " نيتشه"، إحدى المروجين لها، جنباً إلى جنب مع " الأفلاطونية " أو ليست المسحية فيما يرى " نيتشه " سوى أفلاطونية مستترة!؟، ف كلاهما -الأفلاطونية - المسيحية - أثارا في نفوس الناس الحيرة والشكّ والزّيبة، وضرورة توخّي الحذر والحيطه من الحياة، كون هذه الأخيرة تمثّل في نظرهما مصدر شر ملاحق، سببه خطيئة إنسان، ما إنفكت الإنسانية تدفع ثمنها.

إنَّ " زراداشت " الذي استبشر بشارة الإنسان الأعلى، ليضع هذا الأخير في طرفي نقيض مع الإنسان العدمي، ذلك أن الإنسان الأعلى لا يرى في الحياة ظلاما ولا هما ولا حزنا، وإنما هي بالضد من ذلك في نظره : نور وفرح وغبطة.

إنَّ الإنسان لا يرضى بسعادة صغرى، وذلك حال الإنسان الأعلى متعطش إلى سعادة كبرى، يفتح بموجبها أفق حياة متجددة وأبدية، وإنَّ قلبه لمفعم بحبِّ هذه الحياة¹⁵ :
 هذا و تجدر بنا الإشارة إلى أنَّ معنى الإنسان الأعلى لا يستوي مع معنى الإنسان النظري (Homo Theoreticus) ذلك أنَّ إرادة الإنسان الأعلى هي إرادة القوَّة، بينما إرادة الإنسان النظري هي إرادة المعرفة.

إنَّ إرادة الإنسان الأعلى تنزع نزوع الحياة، بينما تنزع إرادة المعرفة نزوع "الحقيقة". وها نحن أمام نقيضين: شغف بالحياة وشغف بالحقيقة (Le pathos de la vérité). ذلك أنَّ الإنسان النظري منذ أن ظهر، عرف باحثا مخلصا عن " الحقيقة " ومثال " سقراط " خير دليل على صحَّة هذا القول، فمعلوم عن " سقراط " أنَّه كرَّس حياته من أجل المعرفة والحقيقة، بل إنَّ همَّه الوحيد وقضيته الأولى كانت البحث عن الحقيقة ولو على حساب الأعراف والتقاليد. وما معادلاته الشهيرة : العقل = الفضيلة = السعادة إلَّا ضربا من ضروب إرادة الحقيقة.

إنَّ إرادة الحقيقة كغاية الغايات بالنسبة للإنسان النظري إنَّما تعني البحث عن عالم حق لا يعاني فيه الإنسان، بيد أنَّ الإنسان الأعلى يبحث عن الحياة فقط، لأنَّها وحدها الحقيقة بعينها في نظره، ولذلك نراه يطلب الحياة باستمرار وينشد العودة إليها دون انقطاع، وإنَّ لسان حاله ليهتف: أهذه هي الحياة، لأعودنَّ إليها من جديد!.

إنَّ الإنسان الأعلى لا يشكُّ أبدا في أنَّ ثمة حقيقة أخرى غير حقيقة الحياة ولذلك تراه باحثا نشطا عن كلِّ درب يؤدِّي إلى الحياة، بينما ترى الإنسان النظري بالضدَّ من ذلك، يزعم بوجود حقائق مفارقة للحياة، وذلك حيلة منه للفرار من الحياة، واتِّقاء منه لشرِّ الحياة، ولربَّما كان ذلك سبب لنسجه إستعارات يسمِّيها " حقيقة "، يقول " نيتشه " في هذا الصدد: >> إننا لا نعلم أبدا من أين تأتي غريزة * * الحقيقة [...]، أن تكون حقيقي، ذلك يعني استحضر كنايات للإستعمال <<

(16)، ولذلك كانت إرادة الحقيقة، إرادة كذب على الحياة، وإرادة ضارَّة بالإنسان، مثلها في ذلك مثل "

إرادة العدم" تكشف في جوهرها وفي عمقها عن تشاؤم رهيب: >> **وإنَّ التَّشاؤمَ لهو أولى أشكال العدمية** << (17).

ذلك هو أهم ما يتَّسم به الإنسان النظري، إيمانه بوجود " الحقائق"، وهو بذلك يقع في طرفي نقيض مع الإنسان الأعلى، الذي لا يؤمن بحقيقة قطّ، اللهم إلا حقيقة الحياة، بوصفها الحقيقة الوحيدة القابلة للصدق وما عدا ذلك فكله هراء وكذب.

وبعد إذا كان الإنسان الأعلى لا يجد ضالته في نموذج الإنسان الأخير ولا حتى في نموذج الإنسان الديني-المسيحي، وكذلك الإنسان النظري، كما أشرنا إلى ذلك سالفا، فإنَّ السؤال الذي يُطرح: ما هو النموذج الأقرب إلى كنية الإنسان الأعلى؟.

2.3- الإنسان الأعلى إنسان جمالي:

نقول " لوسالومي " **Lous Salomé** " * * * " : >> **إنَّ الإنسان الأعلى ليس إنسانا مسالما أو إنسانا شهويا: إنّه محارب [...]** نجد في شخصه سرّ الإنتهاك ولو على حساب ذاته، نجد فيه قسوة فنان << (Andreas (L), 1992, p156) (18).

يحيل تعريف " لوسالومي " للإنسان الأعلى، أول ما يحيل إلى أنّ هذا الأخير يعني صنفا من الإنسان استكملت قوّته واعتدلت طبيعته. إنسان قاهر لذاته، قاسي قسوة فنان !

إنَّ حقيقة الإنسان الأعلى في نظرنا، هي أنّه إنسان جمالي، استحدثه " نيتشه " بغية تزيين الإنسان وتجميله، وبغية جعل الحياة جميلة النّظر لا خوف منها ولا قرف. ومن ثمّة فإن الإنسان الأعلى ليس إنسانا تنديس وإتّما هو فن تزيين الإنسان والحياة على حد السواء، بطابع يجعل الحياة محلّ تقاؤل لا تشاؤم، الإنسان الأعلى كما عبر عن ذلك "ميشال أونفراي " **Michel onfray**، **النيتشوي الفرنسي المتمرد**: >> **يقصي كلّ إمكانات التّشاؤم** << (19)، **يجمل الحياة** ويجعلها جديرة بالعيش.

تلك هي غاية الإنسان الأعلى همّة الإستلذاد بكلّ صنوف التجميل والتزيين بشكل يحوّل الحياة إلى تحفة تسرّ الناظرين، أو إلى غواية تثير الإعجاب وتشدّ الأنظار إليها.

إنّ الإنسان الأعلى على حدّ تعبير " ماتيو كسلر " **Mathieu Kessler**: >> هو أولاً فيلسوف وفنان، بمعنى أنّه محطّم ومبدع << (20)، إنسان محطّم للوجه القاسي للحياة ومبدع للصورة الجميلة التي تزيّن الحياة وتتمّ عن فيض حياة وقوّة. وهنا يلعب الإنسان الأعلى في نظرنا نفس الدور الذي كان يلعبه " ديونيزوس" في الثقافة التراجيدية اليونانية، أين كان الفن الديونيزوسي، قوّة علاجية هائلة ترغّب في الحياة ولا تتفّر منها.

إنّ غاية الغايات بالنسبة للإنسان الأعلى هي إقرار الفن في الوجود مكان كلّ معرفة: >> ذلك أنّ " نيتشه" لا يأخذ برأي تلك النظرة التي ترى أنّ الحاجة إلى الفن تنمّ عن ضعف أو صعوبة لمواجهة الحياة وجها لوجه، بل على العكس من ذلك، فهو ينظر إليه -الفن- كمصدر لنمو القوّة، كقوّة للتحوّل، كطبيعة فنان << (21). فالفن الذي يسعى إليه الإنسان الأعلى، بما هو فن تجميل الوجود وتزيينه، دلالة على الإحساس بالقوّة، بل و على نموها. إنّ التجميل عبارة عن إرادة منتصرة تتسجم من خلالها الرغبات القويّة في شكل جميل يثير المتعة ويحمل على الإقبال.

ولئن حقّقنا في أمر الإنسان الأعلى، لتبيّن لنا أنّه ينمّ عن صورة الإنسان الفنان، أو الإنسان الجمالي، الذي يحكم على الوجود بأنّه جميل ومن ثمّة يستحق أن نحياه، أو نحيا الحياة ملئها. ذلك أنّ هذا الإنسان -الأعلى، وهو يثني على الحياة ويقول " نعم" للحياة، إنّما يعني ذلك انه لا يرى في الحياة سوى جمالا، أو بالأحرى لا يرى سوى تجميله للحياة. وحيثما وجد الجمال وجدت القوّة، ومن ثمّة صدق القول: كن قويّا ترى العالم جميلا. فالإنسان المجل هو الإنسان القويّ وهو نفسه الإنسان الأعلى، شغله الشاغل هو صناعة الجميل من أجل أن تصبح الحياة جديرة للعيش!، و بالتالي مساعدتها على التخلص من إحساسها بالذنب، والعودة إلى براءتها و تحريها من إرادة العدم التي سجنّت فيها.

4- قائمة المصادر والمراجع

(1)- Nietzsche (F), Ainsi Parlait Zarathoustra, Friedrich Nietzsche Oeuvres, Edition dirigé par Jean Lacoste et Jacques le rider, Ed. Robert Laffont, Paris, 1993, "De la victoire sur soi-même", P 372.

(2)- Voir : Nietzsche (F), Ainsi Parlait Zarathoustra, Op. cit," Lire et écrire ", P 313.

(3)- Edelman Bernard, Nietzsche un continent perdu, P.U.F, 1999, P 53.

(*)- يعتبر هذا الكتاب من المؤلفات الأخيرة التي نشرت بعد وفاة " نيتشه"، وهو منسوب إلى 'نيتشه' الذي تمنى يوماً أن يضع عملاً منسقاً هو " إرادة القوة " ، إلا أن " الجنون " حرمه من ذلك ، فجمعت شقيقته " اليزابت فوستر " أشتاته ثم قامت بنشره بعد وفاة شقيقها تحت عنوان إرادة القوة ، وذلك بعد أن شوهدت الكثير من آراء " نيتشه" التي جعلتها تتماشى والتطلعات النازية، مثل مفهوم إرادة القوة والإنسان الأعلى . راجع في هذا الصدد: تعليق Geneviève Bianquis في مقدمة ترجمته لكتاب إرادة القوة، مرجع سابق، الجزء الأول.

(04)- Ferry Luc, Homo Aestheticus, Ed. Grasset, Paris 1990, P. 258.

(05)- Kessler Mathieu, " L'art a plus de valeur que la vérité", Magazine littéraire Hors-série N° 3-4ème Trimestre, 2001, P 47.

(06)- Jaspers karl, Nietzsche, Introduction à sa philosophie, Trad. Henri Niel, Gallimard, 1950, P. 313.

(07)– Nietzsche (F), La volonté de puissance, trad. Genevieve Bianquis Vol. I, Gallimard, 1995, P 251, Aph (96).

(08)– Nietzsche (F), La généalogie de la Morale, Friedrich Nietzsche Œuvres, Op cit, P. 843, Aph (6).

(09)– Nietzsche (F), Ainsi parlait Zarathoustra, Op. cit, "Le prologue de Zarathoustra", P 291, Aph (3).

*- تجلت هذه الفكرة - العود الأبدي - أمام " نيتشه " كالصاعقة، حينما كان يتجول في بحيرة سيلس ماريا (Le lac de sils –Maria) بسويسرا، أين هبطت عليه فكرة العود الأبدي، وخلصتها أن الحياة تتكرر عددا لامتناهيا من المرات، راجع في هذا الصدد تعليق:
Safranski (R), Nietzsche Biographie d'une pensée, trad. nicole casanova, actes sud, 2000, p 209.

(10)– ibidem.

(11)– Edelman (B), Nietzsche un continent perdu, Op.cit, P 53.

(12)– Voir : Nietzsche (F), L'antéchrist suivi de Ecce Homo, Trad. Jean Claude Henerey, Gallimard, 1974, P. 51, Aph (38) .

(13)– Ibid, p P64-65, Aph (47).

(14)– الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص 729-730.

(15)– Voir : Schlechta Karl, Le cas Nietzsche, Ed. Gallimard, 1960, P. 26.

*** – ينعت نيتشه الحقيقة بمصطلح الغريزة في عدة مواقع من الكتاب الآتي ذكره، أنظر مثلا :
ص 11 و ص 28 من الكتاب الآتي ذكره :

(16)– Nietzsche (F), Vérité et Mensonge au sens Extra-Moral, Tard. Nils Gascuel, Lecture de François Warin et Philippe Cardinali, Ed. Actes sud, 1997, P 17, Aph (1).

(17)– Nietzsche (F), Le Nihilisme européen, Introduction et traduction par Angèle Kremer– Marietti, Ed. Kimé, Paris, 1998, P 35, Aph (9).

*** – تلقى "نيتشه" دعوة من صديقه " بول ريه" (Paul Rée) إلى روما حيث إلتقى "بلوسالومي" (1861- 1937) وهي شابة روسية على قدر كبير من الذكاء، رحلت من روسيا إلى إيطاليا ، ولقد طلب "نيتشه" منها الزواج، إلا أنها رفضت، إذ أن اهتمامها " بنيتشه" كان منصبا على فكره لا شخصه.

(18)– Andreas Lous– Salomé, Friedrich Nietzsche à travers ses œuvres, Tard . J .Benoist, Ed. Grasset, Paris, 1992, P. 156.

(19)– Onfray Michel, La sagesse tragique du bon usage de Nietzsche, Livre de poche, Librairie générale Française, 2006, P. 126.

(20)– Kessler (M), "L'art a plus de valeur que la vérité", Magazine littéraire, Hors-Série, Op.cit, P 47.

(21)– Bouveresse Renée, L'expérience esthétique, Ed. Armand Colin/Masson, Paris, 1998, P. 44.

** أستاذ حمادي حميد، قسم الفلسفة، جامعة وهران 2 محمد بن احمد، (توفي يوم 19 ديسمبر 2014).